



@Tafsircenter

أوري روبين
Uri Rubin

الصورة القرآنية وما بعد القرآنية لنبي الإسلام

دراسة مقارنة من خلال تفسير الآيات ١٠ - ١١ من سورة الدخان

ترجمة
مصطفى الفقي

www.tafsir.net

مركز تفسير للدراسات القرآنية
Tafsir Center For Qur'anic Studies



مركز تفسير للدراسات القرآنية
Tafsir Center For Qur'anic Studies



المعلومات والآراء المقدّمة هي للكتاب، ولا تعبّر
بالضرورة عن رأي الموقع أو أسرة مركز تفسير

نبذة تعريفية بأوري روين:

أستاذ الدراسات القرآنية والتراث الإسلامي القديم في قسم الدراسات العربية والإسلامية بكلية الدراسات الإنسانية والاجتماعية في جامعة تل أبيب. حصل على الدكتوراه في عام ١٩٧٦ من قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية، وكانت الرسالة تدور حول النبي محمد في التراث الإسلامي المبكر. تركز اهتماماته بمساحة التفسير المبكر وصلته بالحقول المعرفية الإسلامية في بدايات الإسلام خصوصاً السيرة النبوية.

له العديد من المؤلفات العلمية في هذا السياق، منها:

- The Eye of the Beholder: the Life of Muhammad as Viewed by the Early Muslims (a Textual Analysis), Princeton, 1995.

عين الناظر: حياة محمد كما يراها المسلمون الأوائل (تحليل نصي).

أبرز أعماله بالعبرية ترجمته للقرآن:

ترجمة لمعاني القرآن للغة العبرية، بعنوان:

"הקוראן תרגום מערבית, מוסיף לו הערות"

القرآن.. ترجمة من العبرية مضاف إليها هوامش، ٢٠٠٥.

مقدمة^(١) :

تهتم الدراسات الاستشراقية اهتماماً كبيراً بالتفسير المبكّر، وهذا في إطار دراسة التفسير وتطوّره، وكذلك في سياق دراسة العلاقة بين التفسير والقراءات القرآنية والسيرة النبوية والحديث ومُجمل الحَقول الفكرية الإسلامية؛ مما يجعل دراسة هذه الفترة التكوينية في الدراسات الاستشراقية أمراً شديد التشابك والتداخل حيث يهدف لالتقاط التشابك الذي تنطوي عليه هذه الفترة.

أوري روبين هو واحد من أكثر المستشرقين المعاصرين اهتماماً بالتفسير المبكّر، ويقوم اشتغاله بقدرٍ كبيرٍ في قلب هذا التشابك، حيث يهتم بدراسة تطوّر المعاني التفسيرية وبصلة هذا بالحقول ذات الصلة، خصوصاً القراءات القرآنية والسيرة النبوية، وله أكثر من عمل يتركز في هذه المساحة المتشابكة.

في هذه الورقة يدرس روبين تفسير دلالات آية الدخان في سورة الدخان والبطشة الكبرى في نفس السورة، ما بين الدلالة التي تربطها بأحداث في سيرة النبي ﷺ وبين الدلالة الإسكاتولوجية أو الأخروية التي تربطها بالمستقبل الأخروي، ويحاول تتبّع هذه الدلالات من التفسير المبكّر وحتى الآن، وأسباب نشأة بعضها.

(١) قام بكتابة المقدمة، مسؤولو قسم الترجمات بموقع تفسير.

تمثل دراسة المعاني التفسيرية للآيات - لا سيما تلك التي تحمل بُعدًا إسكاتولوجيًا - في التراث التفسيري اتجاهًا متناميًا بين عدد من الدارسين الغربيين، ومن ثم تأتي أهمية هذه الورقة في كونها تتيح للقارئ العربي التعرف على هذا الاتجاه الغربي وفهمه.

الدراسة (١)(٢)

تقدمة (٣):

تكشف هذه الورقة عن السُّبُل التي أوضحت بها مصادرُ ما بعد القرآن^(٤) الصورةَ القرآنيةَ المتواضعةَ نسبياً لمحمد^(٥) بعيداً عن الحاجات الجدلية وعن الإعجاب المفهوم أيضاً بنبيِّ الإسلام. إذ يتجلَّى الخط الفاصل بين محمد القرآني وما بعد القرآني بشكلٍ خاصٍّ في علاقة محمد بالكفار، وبشكلٍ رئيسٍ في

(١) العنوان الأصلي للورقة هو:

A DAY WHEN HEAVEN SHALL BRING A MANIFEST SMOKE”
(Q. 44: 10–11): A COMPARATIVE STUDY OF THE QUR’ĀNIC
AND POST-QUR’ĀNIC IMAGE OF THE MUSLIM PROPHET

وقد نشرت كفصل من كتاب: The transmission and dynamics of the textual sources of Islam :essays in honour of Harald Motzki / Edited by Nicolet Boekhoff-Van der Voort, Kees Versteegh and Joas Wagemakers، الصادر عن دار BRILL، عام ٢٠١١.

(٢) ترجم هذه الورقة: مصطفى الفقي، باحث ومترجم، له عدد من الأعمال المنشورة.

(٣) الترجمة الحرفية لعنوان المادة كانت: ﴿يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ...﴾ [سورة الدخان: ١٠: ١١]

دراسة مقارنة للصورة القرآنية وما بعد القرآنية لنبِيِّ الإسلام)، لكننا عدلناها إلى: (الصورة القرآنية وما بعد القرآنية لنبِيِّ الإسلام؛ دراسة مقارنة من خلال تفسير الآيات ١٠-١١ من سورة الدخان)؛ كي تكون أقرب لتوضيح مُراد المؤلف ومضمون اشتغاله في هذه الورقة. (قسم الترجمات)

(٤) يقصد بما بعد القرآن ما بعد اكمال نزول القرآن الكريم. (قسم الترجمات).

(٥) القول بأن الصورة القرآنية للنبِيِّ محمد ﷺ متواضعة نسبياً هو قول ينم عن عدم تصور للحديث القرآني عن النبي ﷺ ودلالات هذا الحديث. (قسم الترجمات).

ترجمات

تفسير الآيات التي تنتمي إلى حقبة محمد المكية، حيث لا يزال غير قادر على إبداء ردِّ فعلٍ حاسمٍ حيال الممارسات الاضطهادية لخصومه. بل تمثل ردُّ فعله كما ورد في السور المكية في التحذيرات الأخروية، ولا شيء غير ذلك. ولكن هذه التحذيرات في حدِّ ذاتها تشتمل على أوصاف حيّة للغاية للمصير المروّع الذي ينتظر المكذّبين في يوم القيامة. وبحسب الوحي المكي المبكر، سوف يسبق يوم القيامة وقوع كوارث كونية، كما هو مذكور في سورة التكويد (١-١٣) على سبيل المثال:

﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ۝٢ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝٤ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ... ﴾ الآيات.

في التفسير ما بعد القرآني، خضعت هذه الكوارث الإسكاتولوجية لعملية إعادة تفسير، غذتها أفكار المفسرين حول محمد الجديد، النبي الذي كان قادرًا بالفعل في الفترة المكية على تحذير المكذّبين من الآخرة، وأيضًا على تقديم ردِّ فعلٍ ملموسٍ ناتج عن امتلاكه قوّة إعجازية أسفرت عن إحداث نتائج فورية^(١).

(١) التفسير عملية علميّة اجتهادية لها شروطها، وقد أخذت في النشاط تبعًا بعد زمن النبي ﷺ، واستثمار الأحداث والوقائع في زمن النبي ﷺ من أجل فهم معاني القرآن هو أمر طبيعي ولا بد منه في عملية الفهم التي تراعي طبيعة الحال السياق الخارجي للنصِّ ومعانيه، وهذا الاستثمار تختلف فيه وجهات أنظار المفسرين بحسب طبيعة القرائن والدلائل التي انطلقوا منها في النظر، وفي ضوء ذلك فإن ما يذكره المؤلّف هاهنا من وجود مستبطناتٍ ما عند فريق من المفسرين لتقديم صورة معينة عن النبي ﷺ - هذه الفكرة التي

لقد حوّلت عملية إعادة التفسير ما بعد القرآني وجهة التحذيرات القرآنية من مجالها الإسكاتولوجي إلى المجال التاريخي، وتم تحديد الأحداث المتنبأ بها لتتوافق مع انتصارات محمد الدنيوية على الكفار. نتيجة لذلك، تضاعف الفارق بين الحقبين المكية والمدنية في نبوة محمد إلى حد كبير، وكما هي الحال في الحقبة المدنية، أصبحت الفترة المكية تتميز ليس فقط بالتحذيرات التخويفية من الآخرة، بل أيضًا بإنجازات الانتصارات الدنيوية. وهكذا تولدت الفكرة القائلة بأنّ محمدًا لم يُعانِ مطلقًا من عدم القدرة على الردّ بطريقة مناسبة على ممارسات الكفار، ولا حتى في الحقبة المكية.

ستظهر عملية الانتقال من التحذير إلى الانتصار في النقاش الآتي من خلال تحليل التفاسير ما بعد القرآنية لآيات سورة الدخان (١٠: ١١)، والتي سوف نشير إليها باسم «آي الدخان».

=

ينطلق منها في التحليل في مقالته - تتحكم بالكامل في عملية التفسير هو مسلك غير صحيح ابتداءً في تحليل الخلاف التفسيري الذي يخضع في وجوده لكثير من المسوغات العلميّة بالأساس ولا يمكن اختزاله في مسابقات التفسير، وسيأتي مزيد تعليق على ذلك.

وفي هذا السياق يمكن كذلك استحضار بعض المحاولات البحثية التي قدّمت قراءة لمسألة القصدية ومسبقات التفسير ومدى حسمهم في عملية التفسير في بعض المدونات التراثية، مثل عمل أولريكا مارتنسون عن قصد المؤلف في تفسير آية النور، وبحثها هذا مترجم على موقع تفسير، بعنوان: (من خلال عدسة الهرمنيوطيقا المعاصرة، "قصد المؤلف" في تفسير الطبري والغزالي لآية النور)، ترجمة: مصطفى هندي. (قسم الترجمات).

السياق القرآني لأي الدخان:

في سورة الدخان (١٠ : ١١)، يخاطب الله محمداً بقوله:
﴿فَأَرْقُبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُحَانٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠﴾﴾.
تنتمي هذه الآيات إلى سلسلة من التحذيرات المنتشرة في السور المكيّة
والمتعلّقة بوقائع إسكاتولوجية وشيكة الحدوث سوف تسبق يوم القيامة.
ولنستهل البحث بإلقاء نظرة على سياق هذه التحذيرات فيما بين النصوص
القرآنية.

يوم:

كلمة «يوم» التي تُشير إلى وقت مجيء الدخان تُعدُّ عنصراً مميزاً في
التحذيرات المكيّة من الكوارث الإسكاتولوجية. على سبيل المثال، في الآية
(٥٥) من سورة العنكبوت، يتم توجيه التحذير إلى الكفار بأنّ عذاباً سوف
يغشاهم من فوقهم ومن تحت أرجلهم، وأن الله سوف يقول لهم:
﴿ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾. وفي الآية السابقة مباشرة، تُذكر الجحيم صراحةً جنباً
إلى جنب مع هذه العقوبة، وهو ما يعني أنّ «اليوم» الموصوف بموجب هذه
الآيات راسخ في المستقبل الإسكاتولوجي. تعمل الفكرة المتكرّرة (الموتيف)
الخاصة بالتعطية بالعذاب بنفس الطريقة كما في أي الدخان، أي أنها ترمز إلى
العقوبة الكاملة التي لا مفرّ منها.

كما أن «اليوم» المذكور في الآية (٥٠) من سورة إبراهيم هو أيضاً متعلق بالزمن الإسكاتولوجي، وتكرر فكرة الغطاء هنا أيضاً: ﴿وَتَفَشَىٰ وَجُوهُهُمْ **النَّارُ**﴾ (انظر أيضاً سورة الزمر: ١٦، سورة الأعراف: ٤١). وقد ورد ذكر هذا اليوم المروع في آيات أخرى تصف مشاهد مختلفة من الكوارث الكونية التي ستحدث عندما يأتي (سورة المزل: ١٤، سورة ق: ٤٢، ٤٤، سورة النازعات: ٦، سورة عبس: ٣٤، سورة القارعة: ٤). ترتبط بعض الأحوال المتنبأ بحدوثها في ذلك اليوم ارتباطاً صريحاً بالسماء كما هي الحال أيضاً في آي الدخان. في الآية (١٠٤) من سورة الأنبياء، يطوي الله السماء ﴿كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾، وفي الآية (٢٥) من سورة الفرقان، سوف ﴿تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَمِ﴾، وفي الآية (٩) من سورة الطور، سوف ﴿تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا﴾، وفي آيات سورة المعارج (٨: ٩) ﴿تَكُونُ **السَّمَاءُ كَالْهَلِ**﴾: النحاس المصهور.

في ضوء هذه الآيات المتناظرة، يتضح أن آي الدخان، التي تحتوي على مزيج من كلمة «يوم» والغطاء والسماء، تنبأ أيضاً بوقوع نكبة إسكاتولوجية، وتشكل جزءاً من جميع النبوءات الأخرى ليوم القيامة.

الدخان:

ليس لثيمة (الدخان) نظير واضح في أي من الأوصاف القرآنية الأخرى للنكبة الإسكاتولوجية. فقط يأتي ذكر (الظِّل) ذي الثلاث شُعَب مرة واحدة في

ترجمات

الآية (٣٠) من سورة المرسلات، ويبدو أن هذا الظلّ هو الدُّخان الذي يتصاعد فوق نار جهنم. يذكرنا هذا بما ورد في سفر الرؤيا (١١: ١٤) حيث سيتصاعد دخان عذاب الأشرار إلى أبد الأبدِين. وبالمثل، في سفر الرؤيا (٢: ٩) يصعد دخان من فوهة الجحيم مثل دخان أتون عظيم، فتظلم الشمس والسماء بسبب هذا الدخان.

يمكن تأكيد الدلالة الإسكاتولوجية للرؤية الدخانية عن طريق السوابق الكتابية الواردة في سفر يوشع (٢، ٣١: ٣٠) (٣: ٣-٤). يقول الرب: «وسأظهر عجائب في السماوات وعلى الأرض؛ دماً وناراً وأعمدة دخان، الشمس ستحوّل إلى ظلمة، والقمر إلى دم، قبل أن يأتي يوم الربّ العظيم الرهيب». ويتكرّر نفس الشيء في العهد الجديد^(١)، وبالنظر إلى هذه الأدلة يمكن التكهن بأن رؤيا الدخان في القرآن تحمل إنذاراً بمجيء يوم القيامة.

إنّ التجاور الوثيق بين السماء والأرض والدخان والأحداث الأخرى الواردة في سفر يوشع يسبق الأحداث القرآنية التي يُتوقع فيها أن تأتي السماء بدخان. كما يجب أن يُضاف إلى ذلك حقيقة أنّ الدخان والسماء في القرآن نفسه

(١) رؤيا يوشع الأبوكاليسية ترد في سفر أعمال الرسل (٢: ١٩-٢٠). وانظر أيضاً إنجيل متى (٢٤: ٢٩): «وفوراً بعد الضيق الذي سيحدث في تلك الأيام، ستظلم الشمس، والقمر لن يُعطي نوره، ستسقط النجوم من السماء، وتزعزع الأجرام السماوية». (انظر أيضاً مرقس ١٣: ٢٤-٢٥).

مرتبطان ارتباطاً وثيقاً، كما هو واضح في الآية (١١) من سورة الدخان. تصف هذه الآية خلق العالم، في الوقت الذي كانت السماء فيه لا تزال (دخاناً)، أي بخار. وربما نستدل من ذلك على أن نبوءة آي الدخان القائلة بأن السماء سوف تأتي بدخان تعني أنها تُوشك أن تعود إلى حالتها البدائية الأولى غير المتبلورة.

أي الدخان في سياق السورة:

تساعد الخلفية الإسكاتولوجية الواضحة لأي الدخان على فهم موقعها داخل السورة بأكملها. في مطلع السورة، يصف الله على سبيل الاستهلال إنزال الكتاب (القرآن) ويؤكد أنه كان دائم التحذير للناس، مرسلاً إليهم رسلاً مهمتهم دعوة الناس إلى الإيمان بوحداية الله، ولكن الناس رفضوا دائماً الامتثال لأمره (الآيات: ١ - ٩). ثم تأتي أي الدخان مباشرة بعد هذه الملاحظة التاريخية (الآيات: ١٠ - ١١) لتنتقلنا من مجال التاريخ إلى المجال الإسكاتولوجي. تعرض الآيات العقوبة التي تنتظر الكفار يوم القيامة. وتواصل الآيات الثلاث التالية (١٢ - ١٤) الحديث على المستوى الإسكاتولوجي وتصف كيف سيستجيب الكفار [في يوم القيامة] للدخان الذي يوشك أن يغطيهم؛ سيطلبون كشف العذاب عنهم [إزاحة الدخان] ويحاولون التوبة، ولكن هذا لن يكون مجدياً لهم؛ لأنه بحلول ذلك الوقت سيكون أوان التوبة قد فات بعد أن كذبوا النبي أثناء حياتهم على الأرض واتهموه بالانتحال والجنون. وفي الآية التالية (١٥)، أوضح الله أنه حتى لو كُشفت عنهم العقوبة مؤقتاً فسوف

يعودون بالتأكيد [إلى الكُفر]، مما يعني أن إزالة العقوبة مسألة افتراضية، ويؤكد فقط على الكفر المتأصل فيمن يعاقبون بالدخان.

تُرد الإشارات إلى توبة الكفار في اللحظات الأخيرة لدى مواجهتهم العقوبة يوم القيامة في مواضع أخرى من القرآن. في سورة الأنعام (٢٧-٢٨)، يعلّق الله على رغبة الكفار بالعودة إلى الحياة الدنيا بقوله إنهم لو أُتيحت لهم فرصة ثانية ليعيشوا حياة صالحة على الأرض، لعادوا لما نهوا عنه. وثمة أوصاف لمشهد مشابه لتوبة الغرغرة عديمة الفائدة تُرد في: سورة الأحزاب: ٦٦، وسورة الأنبياء: ٩٧، وسورة الفرقان: ٢٧-٢٩.

لا يصف القرآن هذه التوبة التي لا جدوى منها في المستقبل الإسكاتولوجي فحسب، بل في الماضي التاريخي أيضاً. وهناك بعض الأمثلة الخاصة بآل فرعون الذين يصرون على العودة إلى الكُفر كلما كُشف عنهم العذاب (سورة الأعراف: ١٣٤-١٣٥، سورة الزخرف: ٥٠). وينطبق الشيء ذاته على الكفار في زمن محمد الذين كلّما عفا الله عنهم وأعفاهم من مشقة معينة مقابل توبتهم المزعومة، عادوا إلى الكفر مرة أخرى (سورة يونس: ١٢، سورة النحل: ٥٤).

في السورة التي بين أيدينا، تنتهي الآيات التي تتحدّث عن الأسف المزعوم المتوقع في يوم القيامة بإشارة أخرى إلى العقوبة الإسكاتولوجية؛ وفي هذه المرّة يقول الله (الآية: ١٦): ﴿يَوْمَ نَبِّئُشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنْقِمُونَ﴾. والبطشة هي العقاب

الذي ينتظر الكفار في نار جهنم، وفي موضع آخر من القرآن تسمي «البطش» (سورة البروج: ١٢).

ولكن كلمة «البطشة» تظهر مرة أخرى في سورة القمر: ٣٦، وتشير هذه المرة إلى العقاب الإلهي الذي حذر لوط قومه منه، وهكذا يكون لدينا، كما في حالة آل فرعون، تطابق بين العقاب الإلهي الإسكاتولوجي والتاريخي.

وَصِفَتْ ﴿البَطْشَةَ﴾ في الآيات محلّ البحث بأنها ﴿الكُبْرَى﴾، والتي يمكن توضيح المقصود بها حسبما ورد في الآية (٢١) من سورة السجدة. في هذه الآية، يُرسم خط واضح بين العذاب ﴿الأَكْبَرُ﴾ - الإسكاتولوجي - الذي يسبقه عذاب «أدنى»، أي: عقوبة دنيوية. ويترتب على ذلك أن ﴿البَطْشَةَ الكُبْرَى﴾ هي في الواقع عقوبة أخروية، عقوبة تصل بمصير المحكوم عليهم بها إلى آخر وأعظم مظاهره. وهذه الملاحظة مدعومة بالمزيد من النظائر القرآنية التي تُستخدم فيها صيغة المذكر (أكبر) في الآيات التي تُعلن أن العقوبة في العالم الآخر ستكون «أكبر» من العقوبة الدنيوية التي حاقت بالكفار في الأجيال السابقة: ﴿وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ﴾ (سورة الزمر: ٢٦، سورة القلم: ٣٣). وبناءً عليه، يُشار أحياناً إلى عقوبة العالم الآخر فقط بأنها: ﴿الْعَذَابُ الأَكْبَرُ﴾ (سورة الغاشية: ٢٤)، وأيضاً: ﴿الْفَزَعُ الأَكْبَرُ﴾ (سورة الأنبياء: ١٠٣)^(١).

(١) للاطلاع على سياق أخروي مماثل فيما يتعلق بأوصاف أكبر/ كبرى، انظر: سورة النازعات: ٣٤، سورة الأعلى: ١٢.

كما نجد الإشارة إلى ﴿البَطْشَةَ الْكُبْرَى﴾ في سورتنا تلك متبوعة بعباراة: ﴿إِنَّا مُنْقِمُونَ﴾. وتكرّر هذه الفكرة في القرآن على مستويات متبادلة بين المجال الإسكاتولوجي والتاريخي. فمن جهة، انتقم الله بالفعل من الكفار مثل فرعون الذي أغرقه في البحر (سورة الأعراف: ١٣٦، سورة الزخرف: ٥٥)، ومن المكذّبين كأصحاب الأيكة وقوم لوط (سورة الحجر: ٧٩)، وكذلك من أعداء أيّ رسول معيّن أرسله الله (سورة الروم: ٤٧، سورة الزخرف: ٢٥). ومن جهة أخرى، يوشك الله أن يُنزل عقابه أيضاً بالمشركين في زمن محمد (سورة السجدة: ٢٢، سورة الزخرف: ٤١)، وهو مدخرٌ لهم يوم القيامة. وهكذا، يوصف الله كثيراً بأنه: ﴿ذُو أَنْقَاوٍ﴾، وهو الوصف الذي يرد في سياق الدلالة الإسكاتولوجية الواضحة (سورة المائدة: ٩٥، سورة آل عمران: ٤، سورة إبراهيم: ٤٧، سورة الزمر: ٣٧).

تحوّل الآيات اللاحقة في سورة الدخان من المجال الإسكاتولوجي إلى المجال التاريخي. حيث تأتي على ذكر فرعون، الذي يُعدُّ مثلاً على ما ينتظر الكفار في زمن محمد في المستقبل الإسكاتولوجي (الآيات: ١٧ - ٣٣). ويُختتم المقطع القرآني بإدانة أولئك الذين يكذبون بفكرة البعث (الآيات: ٣٤ - ٣٦)، ثم يليه مباشرة درس تاريخي آخر، ولكن هذه المرّة عن مشركي قوم تُبع (الآية: ٣٧). وفي الآيات التالية، يتحدّث الله بوصفه الخالق، ثم يظهر المجال الإسكاتولوجي مرّة أخرى مع وصف يوم الفصل وعقاب الكافرين في الجحيم

وكذلك مجازاة المؤمنين في الجنة (الآيات: ٣٨ - ٥٧). وتقدّم الآيات الأخيرة الاستنتاج العملي للنبي: عليه أن يحذر مؤامرات أعدائه التي يدبرونها له. إجمالاً، تجمع سورة الدخان بين مجالين، الإسكاتولوجي والتاريخي، واللذين يشكّلان معاً تناظراً مميزاً بين مصير الكفار الذين هلكوا في الأجيال الماضية والمصير الأخروي المتوقع للكفار المعاصرين لمحمد. وتمثّل آي الدخان المجال الإسكاتولوجي، وتحتوي على تصوير حيّ للكارثة التي ستشير إلى مجيء يوم القيامة.

التفسير ما بعد القرآني لآي الدخان:

تأثرت التفسيرات ما بعد القرآنية لآي الدخان المكية بما كان يعرفه مفسرو ما بعد القرآن بالفعل عن حياة محمد في المدينة، حيث أسّس موقعه كقائد لجماعة المسلمين وألحق الهزيمة بخصومه المختلفين. لقد حلّت هذه الصورة لمحمد المنتصر في هذا العالم محلّ صورته كنبّي منذر بعقاب مدّخر ليوم القيامة، ورسمت إطار عملية إعادة تفسير آي الدخان المكية. لقد كان الانتقال من محمد النذير إلى محمد المنتصر موازياً لعملية الانتقال من الإسكاتولوجيا إلى التاريخ، حيث تحوّل الدخان من نذير بمقدّم الساعة إلى علامة إعجازية على نجاح محمد الحالي في جهاده مع الكفار^(١).

(١) الناظر في تفسير هذا المواطن يلاحظ أن السلف قد اختلفوا -لا سيما الصحابة-؛ فمنهم من رأى أن الدخان آية مضت ووقعت بالأساس، ومنهم من رأى أنها لم تمض ولم تقع، وقد استمر هذا الخلاف في مدونة التفسير كما

(تنوير المقباس)، ومجاهد:

لنبداً بأحد المصادر التي تحتوي على تفسير منسوب إلى ابن عباس ابن عم النبي (ت. ٦٨ / ٦٨٧ - ٦٨٨). وهو التفسير المسمّى (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) وقام بجمعه الفيروز آبادي (ت. ٨١٧ / ١٤١٤). والنص الكامل لهذا التفسير مُتاح بالفعل بصيغة متطابقة تقريباً في تفسير ابن وهب الدينوري (ت. ٣٠٨ / ٩٢٠)^(١). في تفسير ابن وهب، كما في تفسير الفيروز آبادي، تُروى مادة التفسير من طريق الكلبي (ت. ١٤٦ / ٧٦٣)، عن أبي صالح (ت. ١٠٠ / ٧١٩)، عن ابن عباس^(٢). حتى وإن كان الإسناد إلى ابن عباس مشكوكاً فيه، إلا أنه من المفيد البدء بهذا المصدر؛ لأنه يقدم مثلاً جيداً

سيظهر من خلال طرح المؤلف نفسه، فالخلاف في التفسير مبكر جداً وليس ثم رؤية ما كانت حاضرة ثم تطوّرت لأسباب معيّنة، الأمر الذي يبرز من ناحية أن الخلاف ناتج - كما سنشير - من دلائل معينة يختلف فهم المعنى بحسبها وليس من وجود رغبة ما لبعض المفسرين كما سبق وأشارنا في تمرير تصوّر معيّن عن النبي، فما يبدو أن مادة التحليل لا تُعين المؤلف على إثبات فكرته التي انطلق منها، وهو ما سيظهر من خلال ما سيذكره المؤلف نفسه من حضور لكلا الاتجاهين في التفسير بل غلبة التفسير الأخرى للآية وليس العكس. (قسم الترجمات).

(1) Ibn Wahb al-Dīnawarī, al-Wāḍiḥ fī tafsīr al-Qur'ān al-karīm, Aḥmad Farīd (ed.), 2 vols., Beirut, 2003. On the identity of the author of this work see Andrew Rippin, "Tafsīr Ibn 'Abbās and criteria for dating early tafsīr texts", Jerusalem Studies in Arabic and Islam vol. 18, 1994; Harald Motzki, "Dating the so-called Tafsīr Ibn 'Abbās: Some additional remarks", Jerusalem Studies in Arabic and Islam vol. 31, 2006.

(2) Cf. Andrew Rippin, "Al-Zuhrī, naskh al-Qur'ān and the problem of early Tafsīr texts", Bulletin of the School of Oriental and African Studies vol. 47, 1984.

على التحوّل ما بعد القرآني لأيّ الدخان من الإسكاتولوجيا إلى التاريخ^(١). يؤكّد هذا المصدر على أنّ الدخان المقصود هو «الجوع» (... وهو الجوع). ويفسّر هذا المصدر طلب الكفّار بكشف العذاب على أنه استغاثة لإنهاء الجوع، مع الإقرار بأنهم الآن يؤمنون بالله وكتابه ورسوله. وعلى هذا النحو، أصبح الخطاب بين الكافرين المستهدّفين بالعذاب والله في يوم القيامة عبارة عن مساومة في هذا العالم على محنة دنيوية، أقصد: مجاعة. ولم تعد استجابة الله فيما يتعلّق بكشف العذاب لفترة محدودة مسألة افتراضية، بل صارت تعني إنهاء المجاعة بشكلٍ مؤقت. وبناء عليه، يقول (تنوير المقباس) إنه بعد زوال المجاعة، واصل الكفار موقفهم العدائي فأهلكهم الله في غزوة بدر (٢ / ٦٢٤). إنّ الإشارة إلى غزوة بدر بوصفها لحظة هلاك الكافرين تعكس بوضوح إسقاطات المرحلة المدنيّة على الفترة المكيّة، مع إبدال سياق أيّ الدخان من العالم الأخروي إلى هذا العالم الدنيوي. وهذا يشهد على الهاجس الملحّ للمفسّرين لتقديم نصر المسلمين في بدر على أنه ذروة مخطّط إلهي يُفترض أنه سبق التنبؤ به في السور المكيّة التي تحذّر الكافرين من عقاب وخيم. وهو ما يدلّ هنا على تعظيم المعركة التي كانت في الواقع، بحسب الروايات الواردة في سيرة محمد، بمثابة هزيمة ساحقة لقريش، ولكنها لم تستأصلهم عن بكرة

(1) Tanwīr al-miqbās min tafsīr Ibn 'Abbās, in the margin of Suyūṭī, Durr, vol. V, 153–9 (= Ibn Wahb al-Dīnawarī, Tafsīr, vol. II, 296).

أيهم. لم يحظَ هذا النصر الإسلامي بأبعاد أبو كاليبسية تشبه أهوال يوم القيامة إلا في تفسيرات ما بعد القرآن. وينعكس تضخيم معركة بدر في تفسير عبارة: ﴿الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى﴾؛ إذ يفسر (تنوير المقباس) عبارة: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى﴾ بأنها تعني: «نعاقبهم العقوبة العظيمة يوم بدر بالسيف»^(١).

لكن المعنى الإسكاتولوجي لم يُنحَ تمامًا؛ إذ يعاود الظهور مرة أخرى في تأكيد (تنوير المقباس) على أن بعضهم يرى أن الآيات بأكملها تتعاطى مع يوم القيامة. ولكن يُذكر هذا الاحتمال كخيار ثانٍ فقط.

يتواصل حضور الدخان بمعنى المجاعة الدنيوية في تفسير مجاهد (ت. ١٠٤ / ٧٢٢)؛ إذ ينص على أن الآيات تتعلق بحالة القحط والجفاف التي أصابت قريشًا. وفيما يتعلق بمعنى عبارة: ﴿الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى﴾، يرى مجاهد أيضًا أنها تعني غزوة بدر^(٢).

(١) ذكر الطبري وغيره من المدونات التفسيرية أن ابن عباس ممن ينتصرون بقوة للقول بأنَّ الدخان آية لم تقع بعدُ وأنَّ ﴿الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى﴾ هي يوم القيامة، وهذا هو المشهور عن ابن عباس في مدونات التفسير، ومن الغريب هاهنا إهمال المؤلِّف لذلك واعتماده في إيراد قول ابن عباس على (تنوير المقباس). (قسم الترجمات).

(2) Mujāhid b. Jabr, al-Tafsīr, 'Abd al-Rahmān al-Sūrātī (ed.), 2 vols., Beirut, n.d., vol. II, 588.

من أجل أن نفهم كيف يمكن ربط الدخان بالمجاعة، على المرء أن يضع في اعتباره أن فكرة المجاعة بوصفها انتقاماً إلهياً ترد في القرآن ذاته، وخاصة في سورة النحل (الآيات: ١١٢ - ١١٤)، إذ تضرب الآيات مثلاً لقربة كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله، فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون. وقد جاءهم رسول منهم فكذبوه، فأخذهم العذاب وهم ظالمون.

ربط الدرس التفسيري الإسلامي هذا المثل بالحصار الذي فرض على مكة بواسطة جماعات موالية لمحمد، وبذلك تقرأ في القرآن نجاح محمد في ممارسة ضغوط اقتصادية على قريش، مما أجبرهم على عقد الصلح معه^(١). وتشير التفسيرات التي يعرضها لنا (تنوير المقباس) ومجاهد إلى أنه بغض النظر عن هذا المثل المضروب، فقد ارتبطت أي الدخان أيضاً بنفس الحصار والمجاعة اللاحقة عليه. وارتباط الدخان بالحرارة، أو بتشوش الرؤية، أو بالغبار المتصاعد من الأرض القاحلة، يمكن أن يسهل مهمة الربط بينهما.

وجد المفسرون الأوائل إشارة إلى حصار مكة في بعض المواضع القرآنية الأخرى. وتجدر الإشارة بشكل خاص إلى آيات سورة «المؤمنون» المكية (٧٥ - ٧٧)، التي تتحدث عن بعض المشاق التي يعاني منها الكفار. وكما هي

(1) See Fred McGraw Donner, "Mecca's food supplies and Muhammad's boycott", Journal of the Economic and Social History of the Orient, vol. 20, 1977.

الحال في آي الدخان، يؤكد الله هنا على أنه إذا رحمهم وكشف عنهم ما بهم ممن ضُرَّ، ﴿لَلْجُؤِ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾. ولكن الله يستأنف قائلاً: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَنْضَعُونَ﴾ (٧٦) ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ (الآيات: ٧٦ - ٧٧). يوضح المفسرون أن كلمة «العذاب» تعني هنا المجاعة التي نتجت عن قطع الميرة الواصلة إلى مكة عن طريق اليمامة (شرق شبه الجزيرة العربية) حوالي عام ٦ / ٦٢٨ على يد أحد حلفاء محمد، وهو: ثمامة ابن أثال من بني حنيفة. ويُقال كذلك إن الضائقة التي سببها حصار ثمامة دفعت أحد أشرف مكة، وهو أبو سفيان، إلى القدوم إلى محمد بالمدينة ليعطف عليه رحم قريش لكي يدفع ثمامة إلى رفع الحصار. وحسبما جاء في الأخبار، امتثل محمد، ورفع الحصار^(١).

وعلى الرغم من أن قصة الحصار وقعت بعد الهجرة، إلا أن المفسرين لم يجدوا غضاضة في ربطها بآي الدخان المكية، التي يطالب فيه المكيون بكشف

(1) See e.g. the commentary on Q. 23: 75–77 in Muḥammad b. Jarīr al-Ṭabarī, Jāmi' al-bayān fī tafsīr al-Qur'ān, 30 vols., Būlāq, 1323/ 1905 (repr. Beirut, 1972), vol. XVIII, 34–35. On Thumāma's boycott of Mecca see further 'Abd al-Malik b. Hishām, al-Sīra al-nabawiyya, Mustā fā al-Saqqā, Ibrāhīm al-Abyārī, & 'Abd al-Ḥāfiẓ Shalabī (eds.), 4 vols. Repr. Beirut, 1971, vol. IV, 287–8; Aḥmad b. Yahyā al-Balādhurī, Jumal min ansāb al-ashrāf, Suhayl Zakkār & Riyāḍ Ziriklī (eds.), 13 vols., Beirut, 1996, vol. VII, 182. See also Uri Rubin, "Muḥammad's curse of Muḍar and the blockade of Mecca", Journal of the Economic and Social History of the Orient, vol. 3, 1988. And see further M. J. Kister, "'O God, tighten Thy grip on Muḍar....': Some socio-economic and religious aspects of an early ḥadīth", Journal of the Economic and Social History of the Orient, vol. 24, 1981.

مصيبة الدخان عنهم. وتظهر إشارة صريحة إلى هذه المسألة في تفسير مقاتل بن سليمان (ت. ١٥٠ / ٧٦٧) الذي ننتقل الآن إلى مناقشته.

مقاتل بن سليمان:

مع تفسير مقاتل^(١)، تبدأ صورة جديدة لمحمد في الظهور، صورة نبِيّ قادر بالفعل على أن يستنزل بنفسه العقاب الإلهي بالدخان. يوضح مقاتل أن آي الدخان تشير إلى واقعة دعا فيها محمدُ الله أن يعاقب قريشًا قائلاً: «اللهم أعني عليهم بسبع سنين كسني يوسف» (انظر: سورة يوسف: ٤٨). عندئذ، أصابتهم شدة أجبرتهم على أكلِ العظام والكلاب والجيف. ومن شدة الجوع، كان الرجل يرى صورة الدخان تتصاعد أمام عينيه وتغطّي الأفق. ويترسل مقاتل قائلاً إنَّ أبا سفيان وغيره من سادات قريش^(٢) جاؤوا إلى النبي يتوسّلون إليه أن يشفع لهم ويرفع القحط. ويواصل مقاتل موضّحاً أنه بناء على طلب أبي سفيان ومن معه، استسقى لهم محمد وخفف عنهم الجفاف لفترة حتى يوم بدر. ثم انتقم الله منهم لأنهم رجعوا إلى سابق عداوتهم، وهذا هو المقصود من ﴿البطشة﴾ **الكبرى**. ويضيف مقاتل أن البطشة وصفت بالكبرى؛ لأن الهزيمة في بدر كانت أكثر مما أصاب قريش من الجوع في مكة.

(1) Muqātil b. Sulaymān, Tafsīr al-Qur'ān, 'Abdallāh Maḥmūd Shihāta (ed.), 5 vols., Cairo, 1979, vol. III, 818–9.

(2) وهم: عتبة بن ربيعة، والعاص بن وائل، والمطعم بن عدي، وسهيل بن عمرو، وشيبة بن ربيعة.

Cf. Kister, "Mudār", 248.

ترجمات

وهكذا يستمر مقاتل في النزوع نحو التوجّه الملحوظ بالفعل في (تنوير المقباس) لتحويل آي الدخان والآيات اللاحقة إلى المجال الدنيوي. فقد أصبح الدخان الحقيقي الذي من المفترض رؤيته خلال أحداث نهاية العالم يمثل الرؤية الضبابية الناجمة عن شدة الجوع. ومع ذلك، فقد أبقى تفسير مقاتل على بعض أوجه المجال الإسكاتولوجي للآيات، إذ يختتم تفسيره للآيات بالتأكيد على أنّ انتقام الله كان في الحقيقة متمثلاً في أن عَجَلَ اللهُ بأرواح قتلى بدر في النار.

أمّا عن شخص محمد، فيظهر في تفسير مقاتل بإحدى السّمات التي تميّز صورته ما بعد القرآنية، شخص ينعم بقوة إعجازية في الدعاء يمكن أن ينتج عنها أيّ شيء، بما في ذلك محنة ذات أبعاد كتابية/ توراتية مثل سنوات سبع من الجفاف. وتظهر قوّة هذا الدعاء بوصفها السلاح الأكثر فاعلية في صراع محمد ضدّ قريش.

يرتبط دعاء محمد الذي أنزل بخصومه الجوع بتفسير آي الدخان بشكل ثانويّ فقط؛ إذ يظهر في الأصل كفكرة مستقلّة عن آي الدخان في مصادر أخرى وفي سياقات مختلفة ومستقلّة عن بعضها بعضاً. وفي بعض الأخبار المدونة في هذه المصادر، دعا محمد ردّاً على مقتل المؤمنين في بئر معونة (٤ / ٦٢٥). وفي هذه الواقعة، لم يرد ذكر أي سيّد مكّي يسأل محمداً التخفيف من وطأة الشدّة التي استنزها^(١).

(1) Muḥammad b. 'Umar al-Wāqidi, Kitāb al-maghāzī, Marsden Jones (ed.), 3 vols., London, 1966, vol. I, 349; Ibn Sa'd, Kitāb al-ṭabaqāt, 8 vols., Beirut, 1960, vol. II, 53.

ثمة روايات أخرى تُرد في مصنّف عبد الرزاق (ت. ٢١١ / ٨٢٧)^(١)، تذكر بالفعل مقدم وفد من سادات قريش على محمد، ولكنها لا تأتي على ذكر أي الدخان. الرواية الأولى (رقم: ٤٩٠٧) وهي عن ابن جريج (مكيّ، ت. ١٥٠ / ٧٦٧)، عن حبيب بن أبي ثابت (كوفيّ، ت. ١١٩ / ٧٣٧)، أن محمداً دعا الله أن يُعيّنه على مُضَر (اتحاد قبائل شمال الجزيرة العربية الذي تنتمي إليه قريش) بأن يسلّط عليهم الجفاف، ثم جاءه رجل من مُضَر يشكو إليه المشاقّ التي حلّت بهم ويسأله أن يدعو برفع الكرب. فيُعْرِض عنه محمد أولاً، ولكن الرجل المضرّي يستمر في التضرّع إلى أن وافق النبي وتوجّه إلى الله بالدعاء من أجل الغيث، وبعد ذلك بوقت قصير، طفقت الأمطار تتساقط. وهناك رواية مشابهة (رقم: ٤٩٠٨) حول رجل مجهول من مُضَر سأل محمداً رفع الجفاف عنهم، وهي رواية الأعمش (سليمان بن مهران، كوفيّ، ت. ١٤٨ / ٧٦٥). وتضيف رواية سفيان بن عيينة (مكيّ، ت. ١٩٦ / ٨١١) (رقم: ٤٩٠٩) التي يرويها عن سالم بن أبي الجعد (كوفيّ، ت. ٩٨ / ٧١٦) تفصيلاً آخر يفيد بأن محمداً دعا وهو واقف على المنبر. وهذا يعني أن الحدث وقع في المدينة، أي بعد الهجرة بالفعل، عندما كان للنبي منبر شعائريّ بالفعل.

(1) 'Abd al-Razzāq Abū Bakr b. Hammām al-Ṣan'ānī, al-Muṣannaf, Ḥabīb al-Raḥmān al-A'zamī (ed.), 11 vols., Beirut, 1970, vol. III, 89–90. Cf. Kister, "Muḍar", 245.

وفي الرواية التي ينقلها الجاحظ (ت. ٢٥٥ / ٨٦٩) في إحدى رسائله؛
أجبرت المجاعة التي سببها دعوة محمد على مُضَر، أحد سادة تميم، وهو
حاجب بن زرارة، أن يسأل الملك الساساني مرعى لماشيته في أرض السواد^(١).

ثمة رواية أخرى عن حاجب بن زرارة أوردها البلاذري (ت. ٢٧٩ /
٨٩٢) وتذكر بالفعل آية الدخان. ومفاد هذه الرواية أن المجاعة التي أحدثتها
دعوة محمد على مُضَر كانت هي سبب نزول آية الدخان: ﴿يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ

مُبِينٍ﴾^(٢).

من خلال الربط بين دعاء محمد وآي الدخان، تحوّلت الفترتان المكية
والمدينة من السيرة النبوية إلى فترات متعاقبة من مسيرة متواصلة من
الانتصارات المتتالية لمحمد النبي الذي أنعم الله عليه بسيطرة غير محدودة
على مصير خصومه.

الفراء، وأبو عبيدة؛

يتواصل استنزال محمد المِخَن بحق خصومه في الظهور في التفسيرات
اللاحقة لأي الدخان. وهذه هي الحال لدى الفراء (ت. ٢٠٧ / ٨٢٣)^(٣)، الذي

(1) 'Amr b. Baḥr al-Jāhiz, al-Rasā'il, 'Abd al-Salām Muḥammad Hārūn (ed.), 4 vols., Beirut, 1991, vol. III, p. 267. See also Kister, "Muḍar", 246.

(2) Balādhurī, Ansāb al-ashrāf, vol. XII, 21.

(3) Yaḥyā b. Ziyād al-Farrā', Ma'ānī al-Qur'ān, Aḥmad Yūsuf Najātī, Muḥammad 'Alī al-Najjār, 'Abd al-Fattāḥ Ismā'īl Shalabī (eds.), 3 vols., Beirut, n.d., vol. III, 39.

يربط بين الدخان وضبابية الرؤية الناجمة عن المجاعة التي كانت نتيجة دعوات محمد. كما يسلك أبو عبيدة (ت. ٢١٠ / ٨٢٥) نفس النهج في التفسير، ويقبل رأي ابن عون (بصريّ، ت. ١٥٠ / ٧٦٧) الذي يرى بموجبه أنّ الدخان يشير إلى حدث وقع بالفعل، ويشير إلى أن مضمون الآيات يتحدّث عن القحط الذي أصاب مُضْر بسبب دعوة محمد. كما يشرح معنى: ﴿الْبَطْشَةُ الْكُبْرَى﴾ في نفس السياق الدنيوي ويرادف بينها وبين هزيمة المشركين في بدر^(١).

عبد الرزاق:

توقفت المطابقة ما بعد القرآنية غير المشروطة لآي الدخان مع الأحداث الدنيوية في تفسير عبد الرزاق (ت. ٢١١ / ٨٢٧). في هذا التفسير، أورد عبد الرزاق بعض الأخبار التي تعيد آي الدخان إلى سياقها الإسكاتولوجي^(٢) مرة أخرى. ويروي في أحدها عن ابن جريج (مكيّ. ١٥٠ / ٧٦٧) أنّ العالم المكيّ أبا بكر بن عبيد الله بن أبي مليكة دخل على ابن عباس ذات يوم، فأخبره الأخير أنه لم يستطع النوم في الليلة البارحة، وقال: «قالوا طلع الكوكب ذو الذَّنْب فخشيتُ الدخان قد طرق». في هذه الرواية، يعي ابن عباس الأهمية الأخروية المنذرة بالسوء لآي الدخان في القرآن. وثمة رواية مماثلة عن معمر

(1) Abū 'Ubayda Ma'mar b. al-Muthannā, Majāz al-Qur'ān, Muḥammad Fu'ād Sezgin (ed.), 2 vols., Beirut, 1981, vol. II, 208.

(2) 'Abd al-Razzāq Abū Bakr b. Hammām al-Sa' n'ānī, Tafsīr al-Qur'ān, Mustafā fā Muslim Muḥammad (ed.), 3 vols., Riyad, 1989, vol. 2, 205–207.

ابن راشد (ت. ١٥٤ / ٧٧١)، عن قتادة (ت. ١١٧ / ٧٣٥)، حيث قال النبي: (بادروا بالأعمالِ ستًّا؛ طلوعِ الشَّمسِ من مغربِها والدُّخانَ ودابَّةَ الأرضِ^(١) والدَّجَالَ وخويصةَ أحدِكم، وأمرَ العامَّةِ)^(٢). تمثِّل الأحداث الأربعة الأولى سلسلة من أشراط الساعة، بينما يمثِّل الحدَّثان الآخران مصائب فردية. وهذا الحديث، الذي ينصُّ على الدخان ضمن النكبات الأخروية، يظهر أيضًا في مدونات الحديث الكلاسيكية مرويًا عن أصحاب محمد: أبي هريرة^(٣)، وأنس ابن مالك^(٤). يظهر الدخان في هذه المصادر ضمن قائمة أخرى من أشراط الساعة، وهذه المرّة في حديث للنبي يرويه الصحابي حذيفة بن أسيد (أبو سريحة، ت. ٤٢ / ٦٦٢)، يذكر حوالي عشر آيات تشير إلى قيام الساعة. أول ثلاث آيات هي مرة أخرى: طلوع الشمس من مغربها، والدَّجَال، والدخان^(٥). ولكن في إحدى روايات حذيفة عن الآيات العشر التي أحصاها النبي، لم يُذكر

(١) انظر: سورة النمل: آية ٨٢، وإنجيل يوحنا ٧: ١١.

(٢) في هذه الرواية، يشرح قتادة «أمر العامّة» بأنها تعني يوم القيامة، وهي مسألة غير ضرورية هنا.

(3) Muslim b. al-Ḥajjāj, al-Ṣaḥīḥ, 8 vols., Cairo, n.d., vol. VIII, 207–208 = Fitan (52), Bāb baqiyyat aḥādīth al-Dajjāl; Aḥmad b. Ḥanbal, al-Musnad, 6 vols., Beirut, 1978, vol. II, 337, 372, 407, 511.

(4) Muḥammad b. Yazīd b. Māja, al-Sunan, Muḥammad ‘Abd al-Bāqī (ed.), 2 vols., Cairo, 1952, vol. II, 1348 (no. 4056) = Fitan (36), Bāb al-āyāt (28).

(5) Ibid., vol. II, 1341 (no. 4041); 1347 (no. 4055) = Fitan (36), Bāb ashraṭ al-sā’a (25), Bāb al-āyāt (28).

فيها الدخان^(١). ويبدو أنّ الدخان قد حُذِفَ عمدًا من القائمة كجزء من تحوّل هذا الموضوع من مجال الإسكاتولوجيا إلى مجال التاريخ^(٢).

انعكس تأرُجُح الدخان بين الإسكاتولوجيا والتاريخ بشكلٍ واضحٍ في روايتين إضافيتين أوردتهما عبد الرزاق في تفسيره لآي الدخان. تشهد هذه الروايات على الصراع المرير الذي اندلع بين أنصار المفهومين. في إحدى الروايات، يقول عليّ بن أبي طالب إنّ «الدخان لم يمض بعد». و(عندما يأتي) يأخذ المؤمن كهية الزُكَّام، ويتنفخ الكافر حتى يَنقُدَّ. وحقيقة إصرار عليّ بن أبي طالب على أنّ الدخان لم يأتِ بعد، أي أنه من أشرط الساعة، تعني أنه ينفي الزعم القائل بأنّ الدخان حدثٌ تاريخي وقع في حياة محمد.

ويبدو أنّ أكثر مؤيدي التصرُّور التاريخي للآيات هو الصحابي الكوفي عبد الله بن مسعود (ت. ٣٢ / ٦٥٢ - ٦٥٣). وهذا ما أورده عبد الرزاق في تفسيره لآية الدخان. يروي التابعي الكوفي أبو الضحى (مسلم بن صبيح) (ت. ١٠٠ / ٧١٨) عن مسروق بن الأجدع (ت. ٦٣ / ٦٨٢) أنّ ابن مسعود قد زاره ذات مرة رجلٌ أخبره أنه سمع أنفًا رجلاً يقول أنه سيأتي على الناس دخان يأخذ بأنفاس الكفار ويكون على المؤمن كهية الزكمة. فغضب ابن مسعود وقال: يا

(1) Tirmidhī/ Tuḥfa, vol. VI, 413-4 (no. 2274) = Fitan (31), Bāb mā jā'a fi l-khasf (21).

(2) هذه الطريقة في التحليل غريبة ولا شك، لا سيما وأن ذكر الدخان موجود في روايات أخرى، فكيف

يعلّل عدم حضوره في رواية ما بمثل هذا التعليل الذي يذكره المؤلف؟! (قسم الترجمات).

ترجمات

أيها الناس مَنْ علمَ منكم شيئاً فليقلِّ ما يعلم، ومن لم يعلم فليقل الله أعلم. ومضى يقول: إن قريشاً لما آذوا النبي وكذبوه دعا عليهم فقال: (اللهم خذهم بسنين كسني يوسف)، فأخذهم الجوع حتى جعل أحدهم يُخَيِّلُ إليه أنه يرى ما بينه وبين السماء دخاناً، حتى جاء أبو سفيان إلى محمد يسأله الرأفة بهم. ويواصل ابن مسعود التأكيد على أن هذا هو معنى آي الدخان ويستبعد على نحو قاطع المعنى الإسكاتولوجي للآيات. ويذكر -وفقاً لذلك- أن ﴿البطشة الكبري﴾ قد وقعت بالفعل يوم بدر، ويضيف أن العقاب (اللزام) الذي وعد الله به الكافرين في آخر سورة الفرقان يعني أيضاً هزيمتهم في بدر. كل هذا حدث بالفعل في الماضي، تماماً مثلما حدث بالفعل عند الانتصار المتنبأ به في مطلع سورة الروم للبيزنطيين على الفرس. وقد عرف هذا الأثر طريقه إلى مدونات الحديث الرئيسة المعتمدة^(١)، ومن الجدير بالذكر أن اسم أبي سفيان يسقط في بعض الروايات، ويُقال بدلاً من ذلك أن «رجلاً» جاء يطلب الرحمة من النبي^(٢). ويبدو أن إسقاط اسم أبي سفيان مقصود من أجل تجسير الفجوة الزمنية بين آي الدخان المكية ومقدم أبي سفيان على محمد، والتي كانت بعد الهجرة فقط.

(1) E.g. Muḥammad b. Ismā'īl al-Bukhārī, al-Ṣaḥīḥ, 9 vols., Beirut, n.d., vol. VI, 142-3 = Tafsīr (65) on Q. 30: 39; Muslim, Ṣaḥīḥ, vol. VIII, 130-1 = Ṣifat al-qiyāma wa-l-janna wa-l-nār (51), Bāb al dukhān; Tirmidhī/ Tuḥfa, vol. IX, 132-5 (no. 3307) = Tafsīr (44) on Q. 44: 10.

(2) E.g. Muslim, ibid.

على كلِّ، نحن نرى أن ابن مسعود هو المدافع الأكثر شراسة من بين مفسّري القرآن الأوائل عن تصوّر التاريخي لأيّ الدخان؛ حيث يبذل غاية جهده لتأكيد العلاقة بين الآيات وبين دعاء محمد القويّ الذي مكّنه من التغلب على خصومة الكفار في الحياة الدنيا. شكّل هذا التحوّل من الإسكاتولوجيا إلى التاريخ أحد العناصر التي أشارت إلى ظهور صورة جديدة ما بعد قرآنية لمحمد، أي: النبي الذي لم يكن يفتقر، حتى في العهد المكي، إلى الوسائل الفورية لمقاومة تكذيب الكفار له^(١).

يُشار كذلك إلى انتقال الدخان من المجال الإسكاتولوجي إلى المجال التاريخي في رواية أخرى من الخبر المنسوب إلى ابن مسعود، كما نقلها ابن سيرين (محمد، بصري. ت. ١١٠ / ٧٢٨). في هذه الرواية، يرسم ابن مسعود بوضوح خطأ فاصلاً بين التنبؤات التي تحقّقت بالفعل خلال حياة محمد، وتلك التي تُوشك أن تُندَر بقيام الساعة في المستقبل الإسكاتولوجي. يقول ابن

(١) تفسير ابن مسعود له قرائن علمية بالأساس وليس كما يصوّر المؤلّف، هو ما يظهر من ردّ ابن مسعود على مَنْ يعتبر الدخان دخان يوم القيامة حيث قال كما في البخاري: ﴿إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾ [الدخان: ١٥]، أفِيكشَف عنهم العذاب يوم القيامة؟! ولا شك أن هذا يبين انتباه ابن مسعود للسياق وأن تفسيره له اعتبرت علميّة بالأساس دفعت لإلحاحه عليه، وبِعَض النظر عن الترجيح بين الأقوال إلا أن هذا يبين ما سبق ودكّرنا مِنْ أَنَّ الخلاف التفسيري يصدر عن قرائن ومسوغات علمية تقوم عند المفسّرين ابتداء وليس وفقاً لرغبة بعضهم في تمرير تصوّرات معينة. (قسم الترجمات).

ترجمات

مسعود: إِنَّ كُلَّ مَا وَعَدْنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ قَدْ رَأَيْنَاهُ غَيْرَ أَرْبَعٍ: طُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا وَالذَّجَالَ وَدَابَّةَ الْأَرْضِ وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ. أمَّا الدخان فيؤكِّد ابن مسعود أنه قد مضى وكان سني كسني يوسف، كما يشير إلى مطلع سورة القمر: ﴿أَقْرَبَتْ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ﴾، ويعلن أن القمر أيضًا قد انشقَّ في الماضي، وأنَّ ﴿الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى﴾ وقعت يوم بدر^(١). في هذا التقليد، يتم فصل الدخان، وكذلك انشقاق القمر والبطشة الكبرى، عمدًا عن أشراط الساعة^(٢).

يمكن للمرء أن يلاحظ في هذه النصوص التباين في موقف المفسرين الأوائل الذي تأرجح بين موقف ابن مسعود الذي قرأ القرآن من منطلق الرغبة في وضع انتصارات محمد النبي في قلب الرسالة القرآنية، وبين مقاربة العلماء الآخرين الذين بقوا على دراية بسياق تناص النصِّ القرآني مع نصوص أخرى. وقد اعتمد هؤلاء العلماء على الأحاديث المنسوبة إلى عدد من الصحابة، حيث لا يزال الدخان مذكورًا فيها من بين أشراط الساعة. ولكن على النقيض من حالة انشقاق القمر، حيث أيد غالبية المفسرين^(٣) التفسير النبيي للآية، احتفظ

(1) Jalāl al-Dīn al-Suyūṭī, al-Durr al-manthūr fī l-tafsīr bi-l-ma'thūr, 6 vols., Cairo, 1314/1869, repr. Beirut, n.d., vol. VI, 28 (from 'Abd b. Ḥumayd).

(٢) حول مسألة الدخان في سياقه غير الأبوكاليفسي، انظر:

David Cook, Studies in Muslim apocalyptic, Princeton, N.J., 2002, 281.

(3) See Uri Rubin, "Muhammad's message in Mecca: Warnings, signs, and miracles: The case of the splitting of the moon (Q. 54: 1-2)", The Cambridge companion to Muḥammad, Cambridge, 2010.

الخطان في تفسير آي الدخان: الإسكاتولوجي والتاريخي، بزخمهما على مرّ العصور؛ والسبب في ذلك هو أنه على عكس انشقاق القمر، وهو حدث جاء في صيغة الماضي ﴿وَأَنْشَقَّ الْقَمَرَ﴾، فإنّ الدخان شيء أمر النبي أن ينتظره في المستقبل ﴿فَارْتَقِبْ﴾؛ لذلك احتفظت آي الدخان بسياقها الإسكاتولوجي بسهولة أكبر من آية انشقاق القمر.

ابن قتيبة، والهوريّ؛

يتواصل حضور تلك المنافسة المتوازنة بين المقاربتين التفسيريتين لآي الدخان في تفاسير الأجيال اللاحقة من المفسرين. يعرض ابن قتيبة (ت. ٢٧٦ / ٨٨٩) تصوّر التاريخي الدنيوي فقط^(١)، موضحاً أن الدخان هو ما كان يتخيّله الجائع بينه وبين السماء من شدّة الجوع، ويضيف احتمالية أن يكون الدخان عبارة عن غبار يرتفع من الأرض اليابسة في سنوات الجفاف. يفتح الهوارى (ت. ٢٨٠ / ٨٩٣)، الذي يعتمد تفسيره على تفسير يحيى بن سلام (ت. ٢٠٠ / ٨١٥)، تفسيره لآي الدخان^(٢) بالنصّ القاطع على أنّ تلك الآيات تتحدّث عن الجذب وإمساك المطر عن قريش، ولكن عندما ينتقل إلى تفسير الآيات التالية، لا تعود الصورة بنفس الوضوح. فعلى النقيض من التفسير

(1) Abdallāh b. Muslim b. Qutayba, Tafsīr gharīb al-Qur'ān, Aḥmad Ṣaqr (ed.), Beirut, 1978, 402.

(2) Hūd b. Muḥakkam al-Huwwārī, Tafsīr kitāb Allāh al-'Azīz, Belḥāj Sharīfī (ed.), 4 vols., Beirut, 1990, vol. IV, 127-9.

التاريخي الذي اختاره لأي الدخان، يقول الهواري إن ﴿الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى﴾ ترمز إلى انتقام الله من أعدائه يوم القيامة، ولكنه في الوقت ذاته يستشهد برواية ابن مسعود التي يؤكّد فيها على السياق التاريخي للآيات، والعلاقة بين عذاب الله وهزيمة الكافرين في غزوة بدر. إضافة إلى ذلك، يقول الهواري إن الحسن البصري (ت. ١١٠ / ٧٢٨) كان يحلف أنّ الدخان ما جاء بعدد. ويُروى الخبر نفسه عن الحسن البصري في مصادر أخرى، حيث أكّد أن الدخان سيكون أول علامات الساعة^(١). كما يُورد الهواري رواية عن عبد الله بن عمر أيضًا يصف فيها خروج الدخان في آخر الزمان، مع خروج الدابة من الأرض، وشروق الشمس من مغربها.

وهكذا، على الرغم من التوجّه نحو وضع التفسير التاريخي الديني لأي الدخان على رأس الأولويات التفسيرية، وبالتالي إبراز قوّة دعاء محمد، فإن التمسك بالخيار الإسكاتولوجي لم يتلاشّ البتة. فقد احتفظ بزخمه وخدم الحاجة الوعظية لإرشاد المؤمنين وحثّهم على السعي الحسن استعدادًا ليوم القيامة.

(1) Suyūṭī, Durr, vol. VI, 29 (from 'Abd b. Ḥumayd).

الطبري:

في تفسيره لآي الدخان، يُدرك الطبري (ت. ٣١٠ / ٩٢٣) الخيارات التفسيرية المختلفة للآيات ويعرض كلاً منها من خلال إيراد الأخبار المألوفة لدينا بالفعل في المصادر السابقة^(١). يعرض الطبري أولاً الخيار التفسيري الدنيوي التاريخي، والمتمثل بشكل أساسي في الروايات المنقولة عن ابن مسعود الذي يرفض المقاربة الإسكاتولوجية بشكل صريح ويدعم الربط بين الآيات وبين الروايات التي تتحدث عن المجاعة التي أصابت قريشاً في مكة بسبب دعاء محمد. يُورد الطبري أيضاً هنا تقليداً يؤيد فيه زيد بن علي بن الحسين (مدني، ت. ١٢٢ / ٧٤٠) الرأي القائل بأن الدخان من أشراط الساعة، ولكنه سمع بعد ذلك ما قاله ابن مسعود في الدخان، فغير رأيه بناء على هذا. من خلال الأخبار الأخرى التي يُوردها الطبري، نعلم أنه بصرف النظر عن رأي الصحابي ابن مسعود، فإن أولئك الذين أيدوا التفسير التاريخي لآي الدخان كانوا من اللاحقين عليه مثل أبي العالية (بصري، ت. ٩٠ / ٧٠٩)، وإبراهيم النخعي (كوفي، ت. ٩٦ / ٧١٤)، والضحاك بن مزاحم (خراساني، ت. ١٠٢ / ٧٢٠). وأما تصوّر الدخان على أنه من أشراط الساعة، فقد ذكر الطبري رواية مجهولة تقول إن الأرض يوم القيامة ستكون مثل «بيت أوقد فيه ليس فيه

(1) Tabarī, Tafsīr, vol. XXV, 66–71.

«خاصة». ومن الصحابة الذين تبّنوا التأويل الإسكاتولوجي لأي الدخان، يذكر الطبري أبا سعيد الخدري، وحذيفة بن اليمان، وأبا مالك الأشعري. وعند الترجيح بين التفسيرين، يتبنّى الطبري رأي ابن مسعود بوصفه أولى التفسيرين. معتمداً في ذلك على الترجيح بين الأسانيد المختلفة للروايات. وبهذه الطريقة يسهم -ربما بغير وعي- في التوجّه ما بعد القرآني نحو تأكيد العلاقة بين القرآن والظفر الدنيوي لمحمد كنبّي مَنْحَهُ اللهُ قُوَّةَ دَعَاءٍ معجزة. ومع ذلك، لا يتجاهل الطبري تماماً الجانب الإسكاتولوجي ويقترح أنه قد يكون هناك نوعان من الدخان؛ أحدهما تاريخي وتشير إليه أي الدخان، والآخر يأتي يوم القيامة. فالأول أصاب خصوم محمد، أمّا الثاني فسوف يعذب بقيّة الكافرين في الآخرة. وهذه طريقة مثالية للجمع بين التفسيرين يستخدمها العلماء كلّما واجهوا تناقضاً في الروايات والتفسيرات.

أمّا فيما يتعلق بتفسير ﴿البَطْشَةُ الْكُبْرَى﴾، قدّم الطبري عدة روايات تربط بينها وبين هزيمة خصوم محمد في بدر. أورد الطبري روايات عن ابن مسعود، ومسروق بن الأجدع الكوفي (ت. ٦٣ / ٦٨٢)، ومجاهد، وأبي العالية رفيع بن مهران (بصري، ت. ٩٠ / ٧٠٩)، وابن عباس، والضحاك بن مزاحم، وابن زيد (عبد الرحمن، مدني، ت. ١٨٢ / ٧٩٨)، والصحابي أبيّ بن كعب. يذكر الطبري أيضاً الخيار الإسكاتولوجي، ولكن ضمن قائمة مختصرة من الروايات، بما في ذلك رواية قتادة عن الحسن البصري الذي يرى أنّ العلاقة بين البطشة

الكبرى ويوم القيامة تتوافق مع وجهة نظره فيما يتعلق بالمعنى الإسكاتولوجي للدخان (انظر أعلاه) ويتكرّر ذلك في مصادر أخرى^(١).

تشير الروايات الأخرى التي أوردها الطبري مرّة أخرى إلى أنّ خلافاً محتدماً قد اندلع بين أنصار كلاً التفسيرين لكلمة: ﴿الْبَطْشَةُ الْكُبْرَى﴾. في إحدى هذه الروايات، ذكر عكرمة (مدني، مولى ابن عباس، ت. ١٠٥ / ٧٢٣) أنّ سيّدَه ابن عباس كان يقول: «يقول ابن مسعود إنّ ﴿الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى﴾: يوم بدر، وأنا أقول هي يوم القيامة». ولكن بحسب رواية أخرى، سأل إبراهيم النخعي (كوفي، ت. ٩٦ / ٧١٤) عكرمة عن ﴿الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى﴾، فقال: يوم القيامة، قال: قلت: إنّ عبد الله بن مسعود كان يقول: يوم بدر؛ ولذلك، ومنذ ذلك الحين، ظلّ عكرمة يفسّر ﴿الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى﴾ بيوم بدر.

يعكس مثل هذا الضغط للتخلي عن الخيار التفسيري الإسكاتولوجي شدة الحاجة إلى فصل التحذيرات الموجهة إلى الكفار في القرآن عن مجالها الأخرى وربطها بدلاً من ذلك بالانتصارات الدنيوية لمحمد. وقد ساعد هذا في تعظيم صورته كنبىّ مظفّر وإبراز الفكرة القائلة أنّه لم يكُ يحذّر من الآخرة قبل الهجرة فحسب، بل حقق انتصارات في هذا العالم. وأمّا خيار الطبري التفسيري، فقد اقتصر على إحالة القارئ إلى ما قرّره في مسألة الدخان، ومن ثمّ

(1) Suyūṭī, Durr, vol. VI, 29 (from 'Abd b. Ḥumayd).

يتضح أنه في حالة ﴿الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى﴾، يستمر التمسك بالخيار التفسيري الدنيوي.

من الزجاج إلى الواحدي:

خلال الأجيال القليلة اللاحقة على الطبري، استمر المفسرون في تفضيل الخيار الدنيوي لتفسير آي الدخان، وهو التفسير الذي يُثني على قوة دعاء محمد في التعامل مع أعدائه. وفقاً لذلك، يلاحظ الزجاج (ت. ٣١١هـ / ٩٢٤م)، الذي لا يزال معاصراً للطبري، أن أغلب المفسرين يرون أن الدخان واقعة حدثت بالفعل في الماضي. وبحسب الزجاج، فإن ﴿الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى﴾ قد حدثت بالفعل أيضاً، أي: في يوم بدر^(١).

يستشهد ابن أبي حاتم أيضاً (ت. ٣٢٧ / ٩٣٨) بروايات تمثل التصور التاريخي الدنيوي^(٢). تقول إحدى تلك الروايات، وهي رواية لم نطالعها في مصادر التفسير السابقة (رقم: ١٨٠٣٢)، أن الدخان يشير إلى فتح مكة. يثبت هذا التفسير المنسوب إلى الأعرج (مدني، ت. ١١٧ / ٧٣٥) ووجد في مصادر أخرى^(٣)، توسع القاعدة التاريخية الدنيوية لأي الدخان وتطبيقها على انتصار

- (1) Abū Ishāq al-Zajjāj, Ma'ānī al-Qur'ān wa-i-rābuhu, 'Abd al-Jalīl Shalabī (ed.), 5 vols., Beirut, 1988, vol. IV, 424-5.
(2) 'Abd al-Rahmān b. Muḥammad b. Abī Ḥātim, Tafsīr al-Qur'ān al-'azīm, As'ad Muḥammad al-Ṭayyib (ed.), 10 vols., Mecca & Riyad, 1997, vol. X, 3287-8.
(3) Ibn Sa'd, Ṭabaqāt, vol. II, 142.

لاحق حتى على يوم بدر، وهو الانتصار الذي يمثل ذروة سلسلة انتصارات محمد. مع هذا التفسير الذي يأخذ الأمر إلى مداه، يتغيّر معنى الدخان، إذ لم يُعد يدلّ على فكرة الجوع، بل على الغبار المتصاعد فوق جيش عظيم يسير بأمان نحو بلدة ذليلة. أمّا الجانب الإسكاتولوجي، فيتمثله ابن أبي حاتم في رواية واحدة يذكر فيها عليّ أنّ حادثة الدخان لم تحدث بعد.

يضع السمرقندي (ت. ٣٧٥ / ٩٨٥)^(١) أيضًا الخيار التفسيري الدنيوي أولاً في قائمة مروياته. فقط في نهاية حديثه، يذكر الخيار الإسكاتولوجي لتفسير آي الدخان. وينطبق الشيء ذاته على الثعلبي (ت. ٤٢٧ / ١٠٣٥)^(٢)، والماوردي (ت. ٤٥٠ / ١٠٥٨)^(٣)، والواحدي (ت. ٤٦٨ / ١٠٧٥)^(٤). حيث يكرّرون الروايات التي أثبتناها بالفعل في المصادر السابقة، باستثناء الماوردي، الذي يضيف تفسيراً غريباً، إن لم يكن شاذاً، وصل إليه. بحسب هذا التفسير، فإن العقاب الذي يطلب الكفار كشفه في الآية (١٢) من سورة الدخان هو الثلج! وقد استشكل فهم هذا التفسير على الماوردي نفسه.

-
- (1) Abū l-Layth Naṣr b. Muḥammad al-Samarqandī, Tafsīr al-Qurʾān, 'Alī Muʿawwaḍ, 'Ādil 'Abd al-Mawjūd & Zakariyyā al-Nawtī (eds.), 3 vols., Beirut, 1993, vol. III, 216–7.
- (2) Abū Ishāq Aḥmad b. Muḥammad al-Thaʿlabī, al-Kashf wa-l-bayān 'an tafsīr āy al-Qurʾān, Abū Muḥammad b. 'Āshūr and Naẓīr al-Sā'idī (ed.), 10 vols., Beirut, 2002, vol. VIII, 350–1.
- (3) 'Alī b. Muḥammad al-Māwardī, al-Nukat wa-l-'uyūn fī tafsīr al-Qurʾān, 'Abd al-Maqsū d b. 'Abd al-Raḥīm (ed.), 6 vols., Beirut, 1992, vol. V, 246–8.
- (4) 'Alī b. Aḥmad al-Wāḥidī, al-Wasīṭ fī tafsīr al-Qurʾān al-majīd, 'Ādil Aḥmad 'Abd al-Mawjūd et al. (eds.), 4 vols., Beirut, 1994, vol. IV, 86–7.

الزمخشري، وابن عطية، وابن الجوزي:

مع الزمخشري (ت. ٥٣٨ / ١١٤٣)^(١)، بدأت المقاربة الدنيوية تفقد هيمنتها. حيث يظهر التصور الإسكاتولوجي أولاً، وبعد ذلك فقط تظهر الرواية التي تتحدث عن دعاء محمد وآثاره على المكئين. أما بالنسبة لتفسير ﴿الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى﴾، فهنا أيضاً يفضل الزمخشري التفسير الأخرى. يجسد هذا التغيير في سلم الأولويات التفسيرية مزيداً من المنافسة التي لم تُحسم بين الخيارين التفسيريين والصعود العرضي للمقاربة الإسكاتولوجية إلى أعلى القائمة. يستمر الخيار الإسكاتولوجي في الظهور على رأس الخيارات التفسيرية في تفسيرات ابن عطية (ت. ٥٤٦ / ١١٥١)^(٢)، وابن الجوزي (ت. ٥٩٧ / ١٢٠٠)^(٣). أما بالنسبة لتفسير ﴿الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى﴾، يُعيد الأخير التفسير الدنيوي إلى الصدارة مرة أخرى.

- (1) Jārullāh Maḥmūd b. 'Umar al-Zamakhsharī, al-Kashshāf 'an ḥaqā'iq al-tanzīl (4 vols. Cairo, 1977), vol. III, 501–2.
- (2) Abū Muḥammad 'Abd al-Ḥaqq b. 'Atīyya, al-Muḥarrar al-wajīz fī tafsīr al-kitāb al-'azīz (16 vols. Rabat, 1975–1991), vol. XIV, 285–8.
- (3) Abū l-Faraj 'Abd al-Raḥmān b. al-Jawzī, Zād al-masīr fī 'ilm al-tafsīr (9 vols. Beirut, 1984), vol. VII, 339–43.

الرازي؛

يستهل الرازي (ت. ٦٠٧ / ١٢١٠) تفسيره لآي الدخان^(١) بذكر الخيار التاريخي الدنيوي، ولكنه سرعان ما يأتي على ذكر التفسير الإسكاتولوجي، بل ويضيف حججاً لدحض التفسير الدنيوي. والحجة الرئيسة التي يقدمها الرازي هي أنّ الدخان يوصف بـ(المُبِين)، وحالة توهُم بعض الناس وجود الدخان بسبب شدة جوعهم لا يمكن معها أن يُوصف الدخان بأنه (مُبِين)، وأنه لا يجوز العدول من الحقيقة إلى المجاز إلا للدليل منفصل، مما يعني أنّ الآيات لا يمكنها أن تحمل معنى الرؤية الضبابية للجائع. بل هو دخان حقيقي يأتي من السماء يوم القيامة. أمّا بالنسبة إلى ﴿الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى﴾، فيجادل الرازي بأن هذه أيضاً عبارة عن عقوبة أخروية وليست هزيمة يوم بدر؛ لأن يوم بدر لا يبلغ هذا المبلغ الذي يُوصف بهذا الوصف العظيم. إذن، الرازي رَصِين بما فيه الكفاية بحيث لا يسلم بالحاجة إلى قراءة صورة محمد الأسطورية ما بعد القرآنية في القرآن^(٢).

(1) Fakhr al-Dīn Abū 'Abdallāh Muḥammad b. 'Umar al-Rāzī, al-Tafsīr al-kabīr, 32 vols., Tehran, n.d., vol. XXVII, 241–4.

(2) بينا قبل أنّ وجود أمثال هذه الافتراضات في تحليل المؤلف أمرٌ مشكل وغير صحيح، بل هو حاجب في عمليات التحليل بشكلٍ عام للأقوال عن تأمل الاعتبارات العلمية لتأسيس الأقوال. (قسم الترجمات).

القرطبي:

مثلما فعل الرازي من قبله، يضع القرطبي (ت. ٦٧١ / ١٢٧٣) أيضًا التفسير الأخرى في صدارة خياراته التفسيرية^(١). ويدعم ذلك بذكر الروايات التي تذكر الدخان من بين أشراط الساعة. ويذكر من بينها رواية لم نطالعها في مصادر التفسير المذكورة آنفًا. ففي صحيح مسلم، يُروى عن الصحابي حذيفة ابن أسيد قال: اطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر، فقال: ما تذكرون؟ قالوا: نذكر الساعة، قال: إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات. ويذكر الدخان كأول آية منها^(٢). أمّا الخيار التفسيري الثاني لأي الدخان في تفسير القرطبي فيدور حول دعاء محمد على الكفار بسنوات القحط، والخيار الثالث هو فتح مكة. أمّا تفسير ﴿البطشة الكبرى﴾، فإن الخيار التفسيري الأول هو يوم بدر، مما يعني أن الخيار الأخرى لا يتصدّر دائمًا أولويات القرطبي التفسيرية. وهذا يشهد مرة أخرى على توازن الوضع بين الخيارين التفسيريّين في تفاسير المفسرين المتأخرين نسبيًا في العصور الوسطى.

(1) Muḥammad b. Aḥmad al-Qurtū bī, al-Jāmi' li-aḥkām al-Qur'ān, 20 vols., Cairo, 1967, vol. XVI, 130–4.

(2) Muslim Ṣaḥīḥ, Fitan (52), Bāb fī l-āyāt llatī takūnu qabla l-sā'a = vol. 8, 179. See also Abū Dāwūd, al-Sunan, 2 vols., Cairo, 1952, vol. II, 429–30 = Malāḥim (36), Bāb imārāt al-sā'a (12); Ibn Māja, Sunan, vol. II, 1341 (no. 4041), 1347 (no. 4055) = Fitan (36), Bāb ash-rāt al-sā'a (25), Bāb al-āyāt (28); Aḥmad, Musnad, vol. IV, 7.

البيضاوي، وابن كثير:

يصعد التصوّر الدنيوي لأي الدخان مرّة أخرى إلى الصدارة في تفسير البيضاوي (ت. ٧١٦ / ١٣١٦)^(١). ولكن عندما يأتي هذا المفسّر على ذِكر ﴿الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى﴾، فإنه يذكر أولاً الخيار الإسكاتولوجي؛ مما يعني أنه، مثل القرطبي من قبله، ليس لديه تفضيل مؤكّد فيما يتعلّق بالخيارين التفسيريّين.

يفتح ابن كثير (ت. ٧٧٤ / ١٣٧٣)^(٢) تفسيره للآيات بالخيار الدنيوي الذي يدور حول دعاء محمد المعجز، ويورد مجموعة من الروايات ذات الصّلة من النوع المألوف لدينا في المصادر السابقة. ومع ذلك، لا يفشل ابن كثير في الاستشهاد بروايات تشير إلى الدلالة الإسكاتولوجية للدخان، بل ويواصل التأكيد على أنّ هذا هو المعنى «الظاهر»، أي المعنى الصحيح حرفياً. ومثلما فعل الرازي من قبله، يشير ابن كثير إلى أنّ الدخان حقيقي، سوف يأتي من السماء يوم القيامة. ويترتب على ذلك أنّ الخيارين استمرّاً في التعايش جنباً إلى جنب، بينما يبدو تزايد المفسّرين المؤيدين للخيار الأخرى. وبالفعل يواصل ابن كثير دعمه الثابت للتفسير الأخرى فيما يتعلّق بتفسير ﴿الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى﴾ أيضاً. يتجلى تمسك ابن كثير الراسخ بهذا التصوّر بشكلٍ خاصّ في كتابه:

(1) Al-Baydāwī, *Anwār al-tanzīl wa-asrār al-ta'wīl*, 2 vols., Beirut, 1988, vol. II, 381–2.

(2) Ismā'īl b. 'Umar b. Kathīr, *Tafsīr al-Qur'ān al-azīm*, 4 vols., Cairo, n.d., vol. IV, 138–40.

(النهاية في الفتن) الذي يكرّسه، كما يتضح من عنوانه، للأدبيات الإسكاتولوجية. يحتوي الكتاب على باب خاصّ مكرّس لظهور الدخان في يوم القيامة، ويكرّر المؤلّف فيه الحجج الخاصّة بدحض مقاربة ابن مسعود الدنيوية^(١). ويشير ابن كثير إلى أنّ ابن مسعود هو الصحابي الوحيد الذي نقل رواية التفسير الدنيوي، على عكس التفسير الأخرى الذي يستند إلى آراء الصحابة؛ حذيفة بن أسيد وأبي هريرة اللذين يرويان عن النبي محمد نفسه. ويكرّر الحُجّة القائلة بأنّ الدخان يجب أن يُحمّل على المعنى الظاهري، مما يعني أنه لا يمكن إلا أن يشير إلى الظهور المرّوع للدخان في المستقبل الإسكاتولوجي.

الألوسي:

يبدأ الألوسي (ت. ١٢٧٠ / ١٨٥٣) تفسيره^(٢) للآيات بذكر الخيار التفسيري الدنيوي، ويعرج على الفجوة الزمنية بين التاريخ المكي لنزول آي الدخان والحقبة المدنية التي شهدت الروايات التي تتحدّث عن وقوع المجاعة واستعطاف أبي سفيان لمحمد. ويشير إلى احتمالية حدوث هذه القصة مرّتين، مرّة في مكة بعد المجاعة مباشرة التي دعا محمد بحلّولها على قريش، والأخرى

(1) Id., al-Nihāya fī l-fitan wa-l-malāhim, Aḥmad 'Abd al-Shāfi' (ed.), Beirut, 1988, vol. I, 114-5.

(2) Abū l-Faḍl Shihāb al-Dīn al-Ālūsī, Rūḥ al-ma'ānī, 30 vols., repr. Beirut, n.d., vol. XXV, 117-20.

بعد هجرة محمد إلى المدينة. يحاول الألوسي أيضًا الجمع بين التصور الإسكاتولوجي والتاريخي للدخان، ويقترح وجود نوعين من الدخان؛ أحدهما وقع في الماضي والآخر لم يأت بعد. أمّا عن خياره التفسيري الخاص، فإن الألوسي يؤيد بالتأكيد التصور التاريخي الذي يتوافق بشكل أنسب، كما يقول، مع سوء حال كفار قريش الذين تناولتهم الآيات اللاحقة أيضًا حسبما يرى.

المفسرون الشيعة:

لا يُظهر مفسرو الشيعة أيّ تفضيل واضح تجاه أيّ من الخيارين التفسيريّين. يقدّم القمي (ت. ٣٠٧ / ٩١٩) التفسير الإسكاتولوجي لآي الدخان^(١)، بينما يبدأ الطوسي (ت. ٤٦٠ / ١٠٦٧) تفسيره للآيات بذكر المقاربة الدنيوية ثم ينتقل إلى المقاربة الإسكاتولوجية^(٢). وكذلك يفعل الطبرسي (ت. ٥٤٨ / ١١٥٣) في تفسيره^(٣).

(1) 'Alī b. Ibrāhīm al-Qummī, al-Tafsīr, 2 vols., Beirut, 1991, vol. II, 264–5.

(2) Muḥammad b. al-Ḥasan al-Ṭūsī, al-Tibyān fī tafsīr al-Qur'ān, Aḥmad al-'Āmilī (ed.), 10 vols., Beirut, n.d., vol. IX, 226–8.

(3) Al-Faḍl b. al-Ḥasan al-Ṭabrisī, Majma' al-bayān fī tafsīr al-Qur'ān, 30 vols., Beirut, 1957, vol. XXIV, 108–10.

الخلاصة:

إجمالاً، أظهرت الأجيال الأولى من المفسرين ميلاً صريحاً نحو التفسير الديني لآيات الدخان، مما وضع دعوات محمد القويّة في المركز وأبرز حالة التحوّل من وضع التحذير إلى الانتصار. ولكن فيما بعد، وعلى الرغم من الرغبة في قراءة صورة محمد ما بعد القرآنية الأسطورية في القرآن، استعاد الخيار الإسكاتولوجي زخمه مرّة أخرى. وقد حافظ هذا الخيار الأخير على تناسس الآيات مع نصوص أخرى.

ولكنّ ثمة مجال واحد فقط احتفظت فيه المقاربة الدنيوية لآيات الدخان بمكانة حصرية، وهو مصنفات دلائل النبوة.

الدخان في أدبيات دلائل النبوة:

تطابق التفسير التاريخي الديني لآي الدخان مع احتياجات مصنفي مواد دلائل النبوة، وهي المواد المصمّمة لإبراز قوى محمد الإعجازية غير المسبوقة. لذلك، يمكن للمرء أن يعثر في هذه المصادر على أوضح تمثيل للتفسير الديني لآي الدخان.

عقد الخركوشي (ت. ٤٠٦ / ١٠١٥) في كتابه: (شرف المصطفى) فصلاً خاصاً حول معجزات محمد^(١)، أوّرد فيه رواية دعاء محمد على مُصّر، والتي

(1) Al-Khargūshī, Sharaf al-nabiyy, MS Br. Lib., Or. 3014, fol. 112a ff. This chapter is missing in the otherwise defective printed edition of the book (Ed. Nabīl al-Ghamrī. 6 vols. Mecca, 2003).

ترجمات

تقدّم كدليل على معجزة دعاء محمد كسلاح استخدمه في جهاده ضد قريش. يُورد الخركوشي رواية حاجب بن زرارة الذي اضطر للبحث عن مرعى في أرض السواد بسبب القحط الشديد الذي أصاب الحجاز نتيجة دعاء محمد. ويؤكد المصنّف على أنّ هذا هو الحدّث الذي عالجت آيات الدخان، ويوضح أنّ الدخان يرمز إلى الغبار المتصاعد من الأرض الجافة. ويضيف الخركوشي أيضاً أنّ الدخان لا يمكن أن يكون علامة أخروية؛ لأنّ القرآن يتحدّث عن ﴿البَطْشَةَ الْكُبْرَى﴾ التي حدثت بالفعل، بحسب قوله، في يوم بدر، وبالتالي يجب أن يكون الدخان واقعة حدثت بالفعل^(١).

هذا، وقد تم الاستشهاد بمجموعة مختارة من روايات دعاء محمد على الكافرين بالمجاعة، وخاصة رواية ابن مسعود، في مصنفات أخرى من دلائل النبوة^(٢). تحتوي المصادر الشيعية أيضاً على فصول تتحدّث عن معجزات محمد، التي تشكّل سابقة تاريخية بالنسبة للأئمة الذين فضّلت صورتهم على نموذج شخصية محمد. وهنا أيضاً نعثر على روايات مختلفة لقصة دعاء محمد على الكافرين، والتي تُربط صراحةً بأيّ الدخان^(٣).

(1) Ibid., fol. 134a-b.

(2) Aḥmad b. al-Ḥusayn al-Bayhaqī, Dalā'il al-nubuwwa, 'Abd al-Mu'tī Qal'ajī (ed.), 7 vols., Beirut, 1988, vol. II, 324-9; Jalāl al-Dīn al-Suyūṭī, al-Khasā'ish al-kubrā, Muḥammad Khalīl Harās (ed.), 3 vols., Cairo, 1967, vol. I, 369-71.

(3) Muḥammad b. 'Alī b. Shahrāshūb, Manāqib āl Abī Ṭālib, 3 vols., Najaf, 1956, vol. I, 93, 189.

ومرة أخرى، يمثل التفسير الديني لآي الدخان تفصيلاً لصورة محمد ما بعد القرآنية، النبي الذي تحوّل بالتالي إلى شخص لديه القدرة على إحداث المعجزات لخدمة الدعوة الإسلامية.

التفسير الراهن:

لمطالعة ملخص جيّد عن التفسير الإسلامي الراهن لآي الدخان، يمكن للمرء الرجوع إلى محاضرة الشيخ السَّلْفِي المصري محمد إسماعيل المقدّم^(١). يبدو المقدّم مهتمًا بالإبقاء على جميع الخيارات التفسيرية المختلفة مفتوحة للنقاش لضمان المواءمة بين النصّ المقدّس ومختلف المواقف دون حصره في مسار واحد من التفكير. ولهذا السبب يدرج الخيارات التفسيرية المختلفة تحت أقوال ثلاثة؛ أولاً: الدخان يرمز إلى المشهد الضبابي الذي يراه الجائع عند معاناة الجوع الناتج عن دعاء محمد. ثانياً: الدخان من علامات الساعة. ثالثاً: يشير الدخان إلى الغبار المتصاعد فوق جيش محمد الذي فتح مكة. يمثل اثنان من هذه الأقوال (الأول والثالث) تصوّر التاريخي الديني، ويبدو أنهما يشيران إلى استمرار الحاجة إلى إحياء ذكرى التاريخ المجيد للإسلام المبكّر. ولكن الخيار الإسكاتولوجي ما زال حاضراً أيضاً، ويوضح الشيخ أنّ الأسلوب الموجز والمركّز للقرآن يجعل من الصعب تفضيل قولٍ على آخر.

(1) <http://audio.islamweb.net/audio/index.php?page=FullContent&audioid=169054>.

كما يكشف كتاب: (مقاربة هر مجدون)^(١) لمحمد هشام قباني عن وجه آخر للتفسير الراهن، وفيه نُدرِك أن آي الدخان يُنظر إليها بمعناها الإسكاتولوجي الصّرف أحياناً في العصر الحديث. ومع ذلك، فقد تم فصل الكارثة الأخروية المتوقّعة عن المشهد التقليدي ليوم القيامة، بدلاً من ذلك، تمّت المواءمة بينها وبين الكوارث الدنيوية الهائلة التي شهدناها خلال القرن العشرين، مثل الانفجار النووي الذي شهدته هيروشيما في العام ١٩٤٥. وبالتالي، فإننا ندرِك أنه بصرف النظر عن إعادة تفسير الدخان من أجل تعظيم صورة محمد، تم توظيف الآيات أيضاً لإثبات الصلاحية المستقبلية للنصّ الإلهي كنص يصوّر جميع أنواع الأحداث الكارثية في التاريخ العالمي للبشرية.



(1) Muhammad Hisham Kabbani, The approach of Armageddon? An Islamic perspective (Islamic Supreme council of America, 2003), 242-4.

Bibliography:

Primary Sources:

‘Abd al-Razzāq b. Hammām al-Ṣan‘ānī, al-Muṣannaf, Ḥabīb al-Raḥmān al-A‘zamī (ed.), 11 vols., Beirut: al-Maktab al-Islāmī, 1970.

——, Tafsīr al-Qur‘ān, Mustā fā Muslim Muḥammad (ed.), 3 vols., Riyad: Maktabat al-Rushd, 1989.

Abū Dāwūd, al-Sunan, 2 vols., Cairo: Mustā fā al-Bābī al-Ḥalabī, 1952.

Abū ‘Ubayda Ma‘mar b. al-Muthannā, Majāz al-Qur‘ān, Muḥammad Fu‘ād Sezgin (ed.), 2 vols., Beirut: Mu‘assasat al-Risāla, 1981.

Aḥmad b. Ḥanbal, al-Musnad, 6 vols., Beirut: al-Maktab al-Islāmī, 1978.

al-Ālūsī, Abū l-Faḍl Shihāb al-Dīn, Rūḥ al-ma‘ānī, 30 vols., repr. Beirut: Dār Iḥyā’ al-Turāth al-‘Arabī, n.d.

al-Balādhurī, Aḥmad b. Yaḥyā, Jumal min ansāb al-ashrāf, Suhayl Zakkār & Riyād

Ziriklī (eds.), 13 vols., Beirut: Dār al-Fikr, 1996.

al-Bayḍāwī, ‘Abdallāh b. ‘Umar, Anwār al-tanzīl wa-asrār al-ta’wīl, 2 vols., Beirut: Dār al-Kutub al-‘Ilmiyya, 1988.

al-Bayhaqī, Aḥmad b. al-Ḥusayn, Dalā’il al-nubuwwa, ‘Abd al-Mu‘tī Qal‘ajī (ed.), 7 vols., Beirut: Dār al-Kutub al-‘Ilmiyya, 1988.

al-Bukhārī, Muḥammad b. Ismā‘īl, al-Ṣaḥīḥ, 9 vols., Beirut: Dār Iḥyā’ al-Turāth al-‘Arabī, n.d.

al-Farrā’, Yaḥyā b. Ziyād, Ma‘ānī al-Qur‘ān, Aḥmad Yūsuf Najātī, Muḥammad ‘Alī al-Najjār & ‘Abd al-Fattāḥ Ismā‘īl Shalabī (eds.), 3 vols., Beirut: Dār al-Surūr, n.d.

al-Huwwārī, Hūd b. Muḥakkam, Tafsīr kitāb Allāh al-‘Azīz, Belhāj Sharīfī (ed.), 4 vols., Beirut: Dār al-Gharb al-Islāmī, 1990.

Ibn ‘Atiyya, Abū Muḥammad ‘Abd al-Ḥaqq, al-Muḥarrar al-wajīz fī tafsīr al-kitāb al-‘azīz, 16 vols., Rabat: Wizārat al-Awqāf wa-l-Shu‘ūn al-Islāmiyya, 1975–1991.

Ibn Abī Ḥātim, ‘Abd al-Raḥmān b. Muḥammad, Tafsīr al-Qur’ān al-‘azīm, As‘ad Muḥammad al-Ṭayyib (ed.), 10 vols., Mecca & Riyad: Maktabat Nizār Mustā fā al-Bāz, 1997.

Ibn Hishām, ‘Abd al-Malik, al-Sīra al-nabawiyya, Mustā fā al-Saqqā, Ibrāhīm al-Abyārī, & ‘Abd al-Ḥāfiẓ Shalabī (eds.), 4 vols., Beirut: Dār Iḥyā’ al-Turāth al-‘Arabī, 1971.

Ibn al-Jawzī, Abū l-Faraj ‘Abd al-Raḥmān, Zād al-masīr fī ‘ilm al-tafsīr, 9 vols., Beirut : al-Maktab al-Islāmī, 1984.

Ibn Kathīr Ismā‘īl b. ‘Umar, al-Nihāya fī l-fitan wa-l-malāḥim, Aḥmad ‘Abd al-Shāfi (ed.), Beirut: Dār al-Kutub al-‘Ilmiyya, 1988.

——, Tafsīr al-Qur’ān al-‘azīm, 4 vols., Cairo: Dār al-Fikr, n.d.

Ibn Māja, Muḥammad b. Yazīd, al-Sunan, Muḥammad ‘Abd al-Bāqī (ed.), 2 vols., Cairo: Dār Iḥyā’ al-Kutub al-‘Arabiyya, 1952.

Ibn Qutayba, ‘Abdallāh b. Muslim, Tafsīr gharīb al-Qur’ān, Aḥmad Ṣaqr (ed.), Beirut : Dār al-Kutub al-‘Ilmiyya, 1978.

Ibn Sa‘d, Kitāb al-ṭabaqāt, 8 vols., Beirut: Dār Ṣādir-Dār Bayrūt, 1960.

Ibn Shahrāshūb, Muḥammad b. ‘Alī, Manāqib āl Abī Ṭālib, 3 vols., Najaf: al-Matḥ a‘a al-Ḥaydariyya, 1956.

Ibn Wahb al-Dīnawarī, 'Abdallāh b. Muḥammad, al-Wāḍiḥ fī tafsīr al-Qur'ān al-karīm, Aḥmad Farīd (ed.), 2 vols., Beirut: Dār al-Kutub al-'Ilmiyya, 2003.

al-Jāḥiẓ, 'Amr b. Baḥr, al-Rasā'il, 'Abd al-Salām Muḥammad Hārūn (ed.), 4 vols., Beirut: Dār al-Jīl, 1991.

al-Khargūshī, Abū Sa'd 'Abd al-Malik b. Abī 'Uthmān, Sharaf al-muṣṭafā, Nabīl

al-Ghamrī (ed.), 6 vols., Mecca: Dār al-Bashā'ir al-Islāmiyya, 2003.

al-Māwardī, 'Alī b. Muḥammad, al-Nukat wa-l-'uyūn fī tafsīr al-Qur'ān, 'Abd al-Maqsūd b. 'Abd al-Raḥīm (ed.), 6 vols., Beirut: Dār al-Kutub al-'Ilmiyya, 1992. Mujāhid b. Jabr, al-Tafsīr, 'Abd al-Raḥmān al-Sūrātī (ed.), 2 vols., Beirut: al-Manshūrāt al-'Ilmiyya, n.d.

Muqātil b. Sulaymān, Tafsīr al-Qur'ān, 'Abdallāh Maḥmūd Shihāta (ed.), 5 vols., Cairo: al-Hay'a l-Misriyya al-'Āmma li-l-Kitāb, 1979.

Muslim b. al-Ḥajjāj, al-Ṣaḥīḥ, 8 vols., Cairo: Maktabat Muḥammad 'Alī Ṣabīḥ, n.d.

al-Qummī, 'Alī b. Ibrāhīm, al-Tafsīr, 2 vols., Beirut: Mu'assasat al-A'lā li-l-Maṭbū'āt, 1991.

al-Qurtūbī, Muḥammad b. Aḥmad, al-Jāmi' li-aḥkām al-Qur'ān, 20 vols., Cairo: Dār al-Kātib al-'Arabī, 1967.

al-Rāzī, Fakhr al-Dīn Abū 'Abdallāh Muḥammad b. 'Umar, al-Tafsīr al-kabīr, 32 vols., Tehran: Dār al-Kutub al-'Ilmiyya, n.d.

al-Samarqandī, Abū l-Layth Naṣr b. Muḥammad, Tafsīr al-Qur'ān, 'Alī Mu'awwad, 'Ādil 'Abd al-Mawjūd & Zakariyyā al-Nawtī (eds.), 3 vols., Beirut: Dār al-Kutub al-'Ilmiyya, 1993.

al-Suyūṭī, Jalāl al-Dīn, al-Durr al-manthūr fī l-tafsīr bi-l-ma'thūr, 6 vols., Cairo: Būlāq, 1869, repr. Beirut: Dār al-Ma'rifa, n.d.

—, al-Khaṣā'is al-kubrā, Muḥammad Khalīl Harās (ed.), 3 vols., Cairo: Dār al-Kutub al-Ḥadītha, 1967.

al-Ṭabarī, Muḥammad b. Jarīr, Jāmi' al-bayān fī tafsīr al-Qur'ān, 30 vols., Cairo Būlāq, 1323/ 1905, repr. Beirut, 1972.

al-Ṭabrisī, al-Faḍl b. al-Ḥasan, Majma' al-bayān fī tafsīr al-Qur'ān, 30 vols., Beirut :Dār al-Fikr, 1957.

al-Tha'labī, Abū Ishāq Aḥmad b. Muḥammad, al-Kashf wa-l-bayān 'an tafsīr āy al-Qur'ān, Abū Muḥammad b. 'Āshūr & Naẓīr al-Sā'idī (eds.), 10 vols., Beirut: Dār Iḥyā' al-Turāth al-'Arabī, 2002.

Tirmidhī/ Tuḥfa = al-Mubārakfūrī, 'Abd al-Raḥmān, Tuḥfat al-aḥwadhī sharḥ Jāmi' al-Tirmidhī, 'Abd al-Raḥmān Muḥammad 'Uthmān (ed.), 10 vols., Cairo: Dār al- Fikr, 1979.

al-Ṭūsī, Muḥammad b. al-Ḥasan, al-Tibyān fī tafsīr al-Qur'ān, Aḥmad al-'Āmilī (ed.), 10 vols., Beirut: Dār Iḥyā' al-Turāth al-'Arabī, n.d. al-Wāḥidī, 'Alī b. Aḥmad, al-Wasīṭ fī tafsīr al-Qur'ān al-majīd, 'Ādil Aḥmad 'Abd al-Mawjūd et al. (eds.), 4 vols.. Beirut: Dār al-Kutub al-'Ilmiyya, 1994.

al-Wāqidī, Muḥammad b. 'Umar, Kitāb al-maghāzī, Marsden Jones (ed.), 3 vols., London: Oxford University Press, 1966.

al-Zajjāj, Abū Ishāq, Ma'ānī al-Qur'ān wa-i'rābuhu, 'Abd al-Jalīl Shalabī (ed.), 5 vols., Beirut: 'Ālam al-Kutub, 1988.

al-Zamakhsharī, Jārullāh Maḥmūd b. 'Umar, al-Kashshāf 'an ḥaqā'iq al-tanzīl, 4 vols., Cairo: Dār al-Fikr, 1977.

Secondary Sources:

Cook, David, *Studies in Muslim apocalyptic*. Princeton, N.J.: The Darwin Press, 2002.

Donner, Fred McGraw “Mecca’s food supplies and Muḥammad’s boycott”, *Journal of the Economic and Social History of the Orient*, vol. 20, 1977, 249–66.

Kabbani, Muhammad Hisham, *The approach of Armageddon? An Islamic perspective*, Islamic Supreme council of America, 2003.

Kister, M. J., “ ‘O God, tighten Thy grip on Muḍar....’ : Some socio-economic and religious aspects of an early Ḥadīth”, *Journal of the Economic and Social History of the Orient*, vol. 24, 1981, 242–73.

Motzki, Harald, “Dating the so-called Tafsīr Ibn ‘Abbās: Some additional remarks”, *Jerusalem Studies in Arabic and Islam* vol. 31, 2006, 147–63.

Rippin, Andrew, “Al-Zuhrī, naskh al-Qur’ān and the problem of early Tafsīr texts”, *Bulletin of the School of Oriental and African Studies* vol. 47, 1984, 22–43.

———, “Tafsīr Ibn ‘Abbās and criteria for dating early tafsīr texts”, *Jerusalem Studies in Arabic and Islam* vol. 18, 1994, 38–83.

Rubin, Uri, “Muḥammad’s curse of Muḍar and the blockade of Mecca”, *Journal of the Economic and Social History of the Orient*, vol. 3, 1988, 249–64.

———, “Muḥammad’s message in Mecca: Warnings, signs, and miracles: The case of the splitting of the moon (Q 54: 1–2)”, *The Cambridge companion to Muḥammad*, Cambridge: Cambridge University Press, 2010.

